مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

فقه التسامح الديني في الإسلام مع غير المسلمين

Jurisprudence of religious to brance with non_muslims in islam

أ.صالح سعدون
sadouneadel@gmail.com
تحت إشراف أ.د شعيب مقنونيف
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

تاريخ الإرسال: 16_06_2019 تاريخ القبول: 01_07_2019

الملخص:

إن اعتناء الشريعة بمعاملة غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية الصرفة أو في المجتمعات الغربية المضيفة أصل من أصول المعاملات في الإسلام، وعلماء الإسلام قد عقدوا فصولا في مدوناتهم يشرحون فيها مغاليق المسائل في أحكام أهل الذمة وما للمسلم تجاه الأغيار وما عليه، والنماذج في ذلك قد لا تحصى لكثرتها، ولعل من صنف في أفراد المسائل الإمام عبد الكريم المغيلي نزيل تلمسان(ومفتي أفريقيا الوسطى والتشاد والسودان) رحمه الله في (رسالة الأغلاف) أو أبناء اليهود الذين ماتوا قبل بلوغهم، فاهتمامهم رحمهم الله بدقائق المسائل دليل واضح على رعاية الإسلام وعلماءه الأجلاّء بجميع ما يتعلق بمعاملة المسلم لغير المسلم حتى ولو كان في حكم من مات من غير المسلمين وهو صبي أو هو على الفطرة أم لا، وما ينبني على ذلك من أحكام فقهية.

الكلمات المفتاحيّة: التسامح الدّيني / أهل الذّمّة / فقه التعامل مع غير المسلمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

Abstract:

The charia pad special attention to non- Muslim minorities in Islamic countries and western hosting countries, as well. This is a fundamental principal in islamique behaviors. Muslim scientists wrote a big deal of research in this tropic (how to treat the non- muslims). For example, they explain how to deal with non – muslims in delicate matters . One clear instance is: El imam: abd El karim El Maghili telemceni 's book. (risalatou El aghlef). In his work, he tackled the case of underage deceased a jewes and their conditions to wards a charia .El maghili sustains muslims and non- muslims equality in treatment, in this case, and in penal and financial matters , as well.

Keywords: inter religions forgivness. how to treat the non-muslims. Non – muslims .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم تنزيله"وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ": آل عمران 199.والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم يبعث الناس أجمعين

إنّ اعتناء الشريعة بمعاملة غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية الصِّرفة أو في المجتمعات الغربية المضيفة أصلٌ من أصول المعاملات في الإسلام، وعلماء الإسلام قد عقدوا فصولاً في مدوّناتهم يشرحون فيها مغاليق المسائل في أحكام أهل الذّمة وما للمسلم تجاه الأغيار وما عليه، والنماذج في ذلك قد لا تحصى لكثرتها، ولعل من صنف في أفراد المسائل الإمام عبد الكريم المغيلي نزيل تلمسان(ومفتي أفريقيا الوسطى والتشاد والسودان) رحمه الله في: (رسالة الأغلاف) أو أبناء اليهود الذين ماتوا قبل بلوغهم،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

فاهتمامهم رحمهم الله بدقائق المسائل دليل واضح على رعاية الإسلام وعلماءه الأجلاّء بجميع ما يتعلق بمعاملة المسلم لغير المسلم حتى ولو كان في حكم من مات من غير المسلمين وهو صبي أو هو على الفطرة أم لا، وما ينبني على ذلك من أحكام فقهية.كما لم يهملوا رحمهم الله ما على أهل الكتاب من واجبات تجاه المكون المسلم حرصا منهم على تماسك عرى المجتمع وإيمانًا منهم بوحدة الجنس البشري في قيمة النّفس ورعايتها دونما نظر إلى صاحبها، فضربوا بذلك أسمى نماذج الدولة الكاملة والحكم الراشد، حافظوا بذلك على تماسك أفراد المجتمع من غير تمييز في الحقوق المدنية مسترشدين في ذلك لآرائهم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته كقوله: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما)

أخرجه البخاري في كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم برقم: (3011)، غير مهملين خصوصية المجتمع المسلم في عبادته، معاملاته المالية، أطعمته وأشربته وحتى في أبواب الزينة وغيرها

كما تشير كتب المعاهدات إلى الكثير من الأمثلة الرائعة في تاريخ الإسلام المجيد، كإنطاء بيت عينون لبني عبد الدار كرامة لتميم الداري رضي الله عنه، وكذلك الأرض المتصلة بجبل أبو غنيم لعشيرة عياض بن غنم رضي الله عنه وقد جمعها العلامة محمد حميد الله في رسالته الشهيرة: (الوثائق السياسية) .

ورغم كل ذلك وجهلا من غير المسلمين بروح هذه التعاليم السامية فقد انقلبت الأقليات غير المسلمة في فترات سقوط الدويلات الإسلامية على المسلمين (يهود الدونما في تركيا) مما سبب انهيارا تامًّا في تماسك المجتمعات البشرية عموما والمختلطة بالخصوص، وما أزمة البوسنة وكوسوفا وغيرها ببعيد عنا، متناسين في ذلك أن الذي قتل خمسين مليونا من البشر في الحروب الكونية الأولى والثانية لم يكن من أتباع محمد صلى الله عليه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

وسلم، ومن سير الحروب الصليبية وتصفية يهود الأندلس ويهود ألمانيا، ولم يكن يوما من أتباع هذه الرسالة النقية .فتشكل بذلك نوع آخر من الأقليات، وهو الأقليات المسلمة في المجتمعات غير المسلمة، التي أصبحت تعاني من التضييق والتعسف السافر، خاصة مع المتغيرات العالمية الجديدة عموما، وأحداث الحادي عشر من سبتمبر خير دليل على ذلك، وأنا أتابع هذه الأيام أسبوعية (لي جودي دو ليما) الصادرة بباريس ففي العدد الأخير لموسم سبتمبر –ديسمبر، تحاليل عميقة أغلبها يشوبه الغموض حول تعاطي المفكرين الغربيين والمستغربين مع موضوع الجالية المسلمة بأوروبا، حيث افتتحوا العدد ب(كيف نحرر الإسلام من نموه المسموم).

وفي هذا العرض أطرح الإشكاليات الآتية:

ما هي أهم معوقات التعايش السلمي مع غير المسلمين .؟

وما هي حدود استغلال الحرية الدينية وغيرها لغير المسلمين في البلاد الإسلامية.؟

وكيف أجابت الشريعة السمحة على المسكوت عنه من المسائل المعاصرة.؟

وهل يمكن حقا الاستفادة من تجارب السابقين مع اعتبار الحنق الزائد والمشاحنات المتصاعدة من جهة غير المسلمين تجاه الأقليات المسلمة، ومن جهة المسلمين تجاه الأقليات غير المسلمة. والله نسأل أن يوفقنا لما يحب ويرضى.

إن التعايش السلمي بين المسلمين وغير المسلمين مشروع في كتاب الله وفي السنة النبوية، وكلّها نصوص تدلّ على اشتراك الخلق في النّفس والرّب والحياة، وتحثّ على التسامح والعدل والمساواة والإحسان كرامة للنفس البشرية التي حرّمها الله إلاّ بالحقّ .

والنصوص التي تدل على مشروعية التعايش مع غير المسلمين كثيرة ومنها قوله تعالى: {لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)}[1]، وقوله: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (7)}الممتحنة، قال الطبري في تفسير هذه الآية: (يقول تعالى ذكره عسى الله أيها المؤمنون أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم من أعدائي من مشركي قريش مودّة، ففعل الله ذلك بهم، بأن أسلم كثير منهم، فصاروا لهم أولياء وأحزابا[2]، وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، ثم قال: حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال، قال ابن زيد، في قوله {عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودّةً}قال هؤلاء المشركون قد فعل، قد أدخلهم في السّلم وجعل بينهم مودّة حين كان الإسلام حين كان الفتح).

وقوله تعالى: {يا أيّها النّاس إنّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليمٌ خبير} [3].قال الطبري في تفسيره: (وقد روي أن أبا ذر رضي الله عنه – كان عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فنازعه رجل فقال له يا ابن اليهودية! فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: (ما ترى هاهنا أحمر وأسود ما أنت بأفضل منه) يعني بالتقوى، ونزلت: {ولا تنابزوا بالألقاب}.[4]

وما جاء في النهي عن ظلم المعاهدين، قال أنس: (كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي يعوده فقعد عند رأسه فقال له: أسلم، فنظر إلى

[1]– الممتحنة 8–9.

[2]– تفسير الطبري، حقّقه وخرّج أحاديثه: محمود محمد شاكر، دار المعارف . ص 321[1]

[3]– الحجرات 13.

[4]– المرجع نفسه. ص: 298.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

أبيه وهو عنده فقال له: أطع **أبا** القاسم. فأسلم فخرج النبي وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار).[1]

وفي جابر بن عبد الله ــ رضي الله عنهما قال: (مّر بنا جنازة فقام لها النبي فقمنا معه. فقلنا يا رسول الله: إنها جنازة يهودي. قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا)[2].

ورواه مسلم في صحيحه من طريق ابن علية عن هشام الدّستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن عبيد الله بن مقسم، عن جابر بن عبد الله، قال: (مَرَّتْ جَنَازَةٌ، فَقَامَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقُمْنَا مَعَهُ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهَا يَهُودِيَّةٌ، فَقَالَ: إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا)[3].

وروى البخاري ومسلم في صحيحهما عن شعبة عم عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: (كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض ــ أي من أهل الذمة ــ فقالا: إن النبي مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي. فقال: أليست نفسا).[4] وقد قيد بعض العلماء مشروعية عيادة غير المسلمين بما إذا كان يرجى منها إسلامهم، والإ فلا

[1]– فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للترات ت: محمد فؤاد عبد الباقي، 221/3، برقم: 1290، 14، 07–1986 .

[2]– صحيح البخاري، باب من قام لجنازة يهودي، المجلد الأول، الجزء الثاني، برقم 1311 دار الشهاب، الجزائر طبعة 1990. ص: 87

[3]– صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة 2006–1427هـ (رقم: 2181)

[4]– مسلم: كتاب الجنائز، باب القيام للجنازة برقم 961، و960

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

تشرع عيادتهم، [1] قال ابن حجر ــ رحمه الله ــ: (والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى)[2].

وهذا الذي عليه علماء الأمّة المتقدّمون منهم والمتأخّرون، من مناشدة المقاصد الحسنة من نصوص الشريعة تحقيقا لمناطات الأحكام، وترسيخا لثقافة المواطنة، فميثاق المواطنة أمر مهم للغاية، المواطنة قاعدة السلم وسبيلها الآمن، ف "لا ينهاكم"، و"أن تبرّوهم" آياتٌ محكمة، فالدخول في الحروب والنزاعات سبيل إلى الفناء، و إبادةٌ للبشرية.

ومادامت المواطنة من سبل السلام، ولا يكون السلام إلا بالتعايش، وللتعايش مقوّمات ومعوّقات وثمرات، ومن أهمّ ثمراته وهي (سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وثقافية)[3] أنه سبب لتحقيق المصالح المشتركة لجميع أفراد المجتمع، على اختلاف أديانهم وأعراقهم، وهو سبب لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع، ولنشر الدعوة بين أفراد المجتمع، بسبب اختلاط غير المسلمين بالمسلمين، وتفهمهم لطبيعة الإسلام .

ويمكّن لبعض أفراد الأقليات المسلمة من احتلال مراكز فعالة في المجتمع، تمكنهم من إظهار تراثهم وحضارتهم بفاعلية، وبأساليب مبتكرة مما يسهم في بروز نهضة إسلامية صحيحة، وهو سبب لتمكين الأقليات المسلمة الموجودة في بعض الدول من ممارسة شعائرهم الدينية، وتحقيق ذواتهم الإسلامية، وتأمين مصالحهم الدنيوية.

ومن أهم ضوابط التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم استحضار المقاصد والمآلات عند التعايش السلمي، وضرورة التمييز بين الثوابت والمتغيرات من الأحكام عند

---

[1]– التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في إفريقيا، د. المرتضى الزين أحمد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد التاسع، ص161.

[2]– فتح الباري 497/7 حديث رقم 4249

[3]– المرجع السابق، ص 164، بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

الدعوة للتعايش السلمي، والتزام الوسطية في التعايش السلمي مع غير المسلمين في التواصل مع الآخر.

ومن مقوّماته: [1]

1 – فهم المجتمع، ومعرفة ما فيه من اختلافات ثقافية، واجتماعية بين أفراده.

2 – يتحقق التعايش عندما يشعر الجميع بأنهم أبناء وطن واحد، وأن عليهم أن يعملوا على رفعته، وتطويره، وتنميته تنمية شاملة للجوانب الروحية والمادية.

3 – الاعتراف بالآخر، ولاسيما اعتراف الطرف الآخر من غير المسلمين بالمسلمين، مع استصحاب المسلمين للفوارق الجوهرية، والموضوعية بين دين الإسلام المحكم، المحفوظ، وغيره من الأديان البشرية والمحرفة والمبدلة.

4 – وهو مرتبط بالوازع الديني، وبمراقبة الله عز وجل، وعلى المسلم أن يمارسه بدافع التقوى، والإيمان بالله عز وجل.

5 – والتعايش مصدره الوحي الإلهي، ونصوصه محكمة، فلا مجال للتلاعب بها من قبل البشر كيف شاءوا.

ومن المعوّقات التي تحول دون تحقّق التعايش السّلمي للأقلّيات المسلمة في المجتمعات الغربية التحريض المتزايد ضدّ المسلمين في الأوساط الرّسمية، لاسيما من طرف الإعلام الذّي يهدم في إعلان أو افتتاحية أو مقال ما يبنى في شهور، [2]

[1] – المرجع نفسه، ص163، بتصرف.

[2] – واجهة معهد العالم العربي الإعلامية عدد: سبتمبر – ديسمبر 2015، كيف نحرّر الإسلام من نموّه المسموم؟ .(le jeudi del .ima)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

والأمثلة في ذلك تكاد لا تحصى لكثرتها، حتى صار الاطلاع على كل ما ينشر من إساءات للمسلمين أمرا شبه مستحيل. ففي افتتاحية (لو جودي دو ليما) العدد الماضي نجد العنوان الآتي: "كيفية التخلص من زوائد الإسلام السامة"؟.

وفي العدد الأخير ناقضت المدونة نفسها في افتتاحية الصفحة الإلكترونية للثلاثي الأوّل (يناير – مارس 2016)[1] حيث جاء فيها:

(في تلك الأيام المظلمة لم يعد الحوار يعني أنه اشتقاقي المعنى، بل هو شكل حيوي لمقاومة همجية النقاشّ) .

حدود استغلال الحرّية الدّينية لغير المسلمين في البلاد الإسلامية:

لقد تطرّق القدامى لهذا الموضوع، ولكن في حدود زمانهم، فكان اهتمامهم عدم تولية غير المسلمين أمور الدّولة من الولاية الكبرى وعدم تمكينهم منها، إضافةً إلى التأكيد على بعض السّلوكيات الواجب التحفّظ عليها في المعاملات اليومية، كالقيام لهم، وإخلاء المجالس لهم، وندائهم بالألقاب والأسماء العظيمة الشّأن وغيرها، ومشاركتهم في أعيادهم، وقد تطّرق لها الكثيرون من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصّراط المستقيم والقرافي المالكي في الفروق، وغيرهم. وقد نبّه الإمام القرافي في الفروق[2]: من تمكين غير المسلمين من الولايات في الدولة الإسلامية، وإخلاء المجالس لهم عند قدومهم، والقيام لهم، ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها.

---

[1] – (les jeudis de l .ima .saison janvier/mars 2016)

[2] – الفروق: أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: عمر حسن القيام، مؤسسة الرسالة / بيروت، 434/2، ط 1/ 1424هـ/2003م،،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

وتناول الشيخ عبد الله المحفوظ بن بيه معالم وضوابط التواصل، مؤكداً أن أولها هو معلم الاعتراف بالاختلاف والتنوع الثقافي والحضاري الذي لا يعني القطيعة بين الحضارات والتقوقع على الذات والفصام بين الحضارات، فهناك جوامع مشتركة وعلى الطرفين أن يكونا على درجة من الاستعداد النفسي لاستيعاب الاختلاف وتحييد أسباب الصراع بتحويل الاختلاف إلى ثراء وليس إلى عداء.[1]

وقد شدّني في ذلك كتاب خالد بن الوليد رضي الله عنه لأهل دمشق حين فتحها في رجب عام أربع عشر للهجرة، وذلك بعدما أخذ المسلمون الغوطة وكنائسها عنوة، والكتاب كان في ربيع الآخر سنة خمس عشرة يوصيهم بالنصارى خيرا معترفًا لهم بحقهم في العبادة والسكنى، وهذا نصّ الكتاب: " بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من خالد بن الوليد لأهل دمشق، إني أمنتهم على دمائم وأموالهم وكنائسهم ألا تسكن ولا تهدم، شهد يزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، وقضاعي بن عامر. وكتب في رجب من سنة أربع عشرة"[2].

والقصّة أوردها ابن منظور في مختصر تاريخ دمشق، والواقدي في المغازي وغيرهما.

وذلك أن خالداً كتب الكتاب بغير تاريخ، فلما اجتمع المسلمون للنهوض إلى من تجمع لهم باليرموك أتى الأسقف خالداً فسأله أن يجدد له كتاباً ويشهد عليه أبا عبيده

[1]– د. نوال السباعي، باحثة اسبانية مؤتمر ودي: 15–6–2006، مجلة الكويت العدد 271.

[2]– مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. د. محمد حميد الله دار النفائس بيروت ط/5 –1405هـ 1985م، ص457.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

والمسلمين. ففعل وأثبت في الكتاب أبي عبيده ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وغيرهم، فأرخه بالوقت الذي جدده.

وكذلك الأمر مع عياض بن غنم رضي الله عنه وهو من قادة الفتح وممّن شهد صلح الحديبية والمشاهد الكبرى كبدر والخندق وأحدا، حيث أقرّه عمر رضي الله عنه على الشام، وكتب لابن أخيه واسمه أيضًا عياض بن غنم[1] جبل ابن غنيم وما جاوره له ولعقبه، وهو اليوم من الأوقاف الفلسطينية .

وكتاب إنطاء النبي عليه الصلاة والسلام حبرون وبيت عينون، والمرطوم، وبيت إبراهيم لبني عبد الدّار وهم من نصارى فلسطين الذين وفدوا على النبيّ صلّى الله عليه وسلم عام الوفود وعلى رأسهم تميم بن أوس الدّاري رضي الله عنه صاحب قصّة الجسّاسة الشهيرة والكتاب جدّده كلٌّ من أبي بكر[2] رضي الله عنه ومن بعده عمر رضي الله عنهما. وأوصى أمير العسكر أبا عبيدة بتنفيذ الأمر.[3]، والقصّة طويلة، رويت بألفاظ متعددة لا تباين فيها، جمعها ابن عساكر في تاريخ دمشق، وللعلم فإن هذه الرقعة التي كتب بها النبي صلى الله عليه وسلم موجودة بأيدي التميميين خدام حرم الخليل عليه السلام إلى الآن وكلما نازعهم أحد أتوا بها إلى السلطان بالديار المصرية ليقف عليها ويكف عنهم من يظلمهم.

ونصّ الكتاب تمّ تجديده في عهد أبي ثمّ عمر رضي الله عنهما، وقد جاء فيه:

---

[1]– المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي، دار الكتب العلمية، ت– محمد عبد القادر عطا، 4 / 305/303، رقم 223، ط1412/1–1992[2]

[2]– مجموعة الوثائق السياسية ص 129–132.

[3]– المرجع نفسه ص 133، والقلقشندي في صبح الأعشى 119/13.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

(بسم الله الرحمن الرحيم: "هذا كتاب ذكر فيه ما وهب محمد رسول الله للداريين إذا اعطاه الله الأرض وهب لهم بيت عينون وحبرون والمرطوم وبيت ابراهيم بمن فيهن لهم ابداً" "شهد عباس بن عبد المطلب وجهم بن قيس وشرحبيل بن حسنة وكتب.)

هذا وقد نظّمت بعض البلدان الإسلامية التعامل مع غير المسلمين في البلاد الإسلامية في شكل قوانين ونظم فقد أصدرت وزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية مؤخرا كتابا يضاف إلى منشوراتها العديدة من الكتب والدوريات بعنوان "الشعائر الدينية حرية ممارستها حق يكفله الدين والقانون" من الحجم المتوسط عدد صفحاته 369 صفحة.

بالإضافة إلى هذا يتضمن الكتاب شروحا وتوضيحات وافية حول القانون: 02/06 مكرر المؤرخ في 28 فيفيري 2006 الخاص بتنظيم الشعائر الدينية لغير المسلمين.

كما شدّد وزير الأوقاف الجزائرية في افتتاحه للملتقى الوطني الأوّل لسيرة المصطفى صلى الله عليه وسلّم في ولاية تبسة نشرته جريدة ليبرتي[1] تحت عنوان " تأثير السّيرة في حياة الصحابة بأنه لا مكان للتطرّف والتبشير في الجزائر.

إجابة الشريعة السّمحة عن المسكوت عنه (النوازل) من المسائل المتعلّقة بمعاملة المسلمين مع غيرهم:

اهتمّ العلماء المعاصرون بموضوع النوازل اهتماما ملحوظا، وألّفوا فيه كتبا قيّمة وبحوثا كثيرة ومؤتمرات دولية، وأغلب الموضوعات المعالجة واقعية، ولعلّ أبرز من كتب في النوازل العلاّمة بكر بن عبد الله أبو زيد في جزءين، ومن المؤتمرات ندوة سيريلانكا

[1]– le radicalisme et le prosélytisme n ,ont pas leur place en Algérie) liberté le- 30/12/2015.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

عن "التعايش السلمي في الإسلام" التي تنظمها الأمانة العام لرابطة العالم الإسلامي بالتعاون مع المركز الإسلامي في كولومبو.[1]، ومؤتمر السلام العالمي المنعقد بدبي سنة 2014، إضافة إلى الملتقيات التي ترعاها دول أوروبية مثل المنعقد في دافوس سنة 2015، وقمّة الأمم المتحدة لمكافحة التطرّف سنة 2015، والتي شارك فيها العلاّمة عبد الله المحفوظ بن بية، ومنتدى تعزيز السّلم الذي ترعاه دولة الإمارات، والمؤتمر السنوي الثاني "نحن والآخر" الذي انعقد ما بين 6–8 صفر لعام 1427هـ الموافق 6–8 مارس لعام 2006م بدولة الكويت.

هذا وقد ركّزت هذه البحوث والندوات على جانب تعزيز السّلم العالمي والتصدّي لكل أشكال العنف والتطرّف غير المبرّران، وتنزيه الشرائع النبوية من التنظير للقتل والعنف والإقصاء، كما تناولت بعض مشكلات الجاليات المسلمة في الغرب والتي تعتبر مادّة دسمة للبحث والمناظرة، لأنّ هذا الموضوع تتجدّد فيه النوازل بشكل شبه يومي ويحتاج إلى رعاية إسلامية دائمة للحفاظ على روح الإسلام وحيواة المسلمين المهدّدين دوما من جهة المجتمعات المضيفة التي لم تعد تتقبّل التناقض بين سلوكات المسلمين وما يصرّحون به من تسامح الإسلام وعالميته، وذلك أنّ الواقع أشدّ من أن تطبّق فيه نصوص الشريعة في غياب مؤسسات رسمية في الغرب ترعى الفتوى والاجتهاد لمعالجة كل جديد في حينه.

[1]– الوسط يومية بحرينية مستقلة، العدد 1379 الجمعة 16 يونيو 2006م الموافق: 19 جمادى الأولى 1427هـ

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

فالواقع اليوم مختلف عن الواقع من قبل، واليوم أبرمت بين المسلمين والغرب معاهدات لم تكن في الماضي، وقامت دول ليس على أساس قوّة السّلاح بل بشرعية المعاهدات، وفي الماضي كانت الحدود تقام بالسلاح عكس اليوم لكن باستثناءات يسيرة. وقد أحسن الشيخ بن بية في لقاءه بمجلس العلاقات الأمريكية بنيويورك سنة 2015 حين قال:[1]

الواقع مراتب: الواقع الواقع، والواقع المفترض، والواقع المستقبل، والواقع المتخيّل، والمتخيل لا يمكن إيجاده في عالم لا يقبله. الواقع هو الذي ينطبق عليه خطاب الوضع، خطاب الوضع مقيد وخطاب التكليف خطاب مرسل، وخطاب الوضع ثلاث أنواع عند الجمهور.

وهناك مسائل لم تكن راجحة في الزمن الماضي لكنها أصبحت متعيّنة في زماننا، في رد عدوان في عالم بلا معاهدات في عالم ليست فيه أسلحة نووية تبيد البشرية فمن ادعى جهاد الطلب في هذه الظروف فهو مخطئ وخاطئ {إلا الذين عاهدتم من المشركين}، {إلا على قوم بينكم وبقينهم ميثاق}.

وقال مخاطبا الشباب المسلم المقيم في الغرب: "تعلّموا الشريعة، فالواقع يفرض فقهًا متجدّدًا وصناعةً للفتوى، ولهذا بدأنا بالعلماء، لأنّهم بإمكانهم فهم آليات فهم الخطاب، قلت للشباب لا تقتلوا أنفسكم عندما قالوا كيف لا نقاتل؟، وشريعتنا ضدّ الظلم، ليس خطابنا تضامنٌ مع ظالم بل مع ضحايا، هناك جملة من المفاهيم يحكمها الواقع هناك دار إسلام ودار حرب وهذه مصطلحات قديمة فلم تعد دارنا تخضع لذلك التقسيم لأنه كان توصيفا لا تلطيفا فهي دار جديدة تحتاج إلى أحكام جديدة، بعد النبوة

[1]– بتصرّف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

بعشر سنوات تغيّر الواقع كثيرا، فالخراج ووضع الزكاة على الخيل أحكام جديدة لا يعرفها المسلمون والحديث ضدّ وضع الزّكاة على الخيل، وتوقيف عقوبة السّارق عام المجاعة أو الرّمادة جاء متماشيا مع ضرورة المرحلة، وفي النهاية هناك من العلماء من صرّح بوحدة الجنس البشري في الحقوق، فابن رجب والنووي وأحمد كلهم يقولون: (أخوكم في الإنسانية).

والقضايا التي فيها صلاة وزكاة وحجّ يجوز أن يفتي فيها الأفراد عكس القضايا الأخرى الطارئة والنازلة تتكلم فيها مجاميع وهيئات، فالاجتهاد أصناف: اجتهاد في النصوص، واجتهاد في المقاصد (وهو لماذا قال ربكم؟)، واجتهاد في الكيفيات وتطبيق الأحكام في الواقع وهو تحقيق المناط.

والكلام الأخير له نظير في ممارسات العلماء المجتهدين قديما واللّذين تصدّوا لمثل هذه النوازل، والمثال على ذلك رسالة الإمام المغيلي التلمساني (1425–1504م) والمعروفة اختصاراً بـــ: (رسالة أهل الذّمة والغلائف) أو أبناء اليهود والنصارى اللّذين ماتوا على الفطرة [1].

كما أنّ للإمام المغيلي المشهور بعدائه لليهود بتلمسان رسالة {أسئلة أسقيا وأجوبة المغيلي} كتبها لإمبراطور السونغهاي، هذه المملكة التي ازدهرت في غرب أفريقيا خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وهي تتألف من الأجوبة على الأسئلة السبع التي سُئل عنها المؤلف من قبل إمبراطور السونغهاي. يقول المؤلف للإمبراطور أنه ملزم بتطبيق الشريعة الإسلامية بشكل صارم في إدارة الشؤون السياسية والاقتصادية في

[1]– وقد حقّقها حفيده عبد القادر عبد الرّحمان سنة 2012، بإشراف زميلنا الأستاذ الدكتور كمال معزي بقسم العقيدة والمقارنة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

الإمبراطورية. ومن أجل القيام بذلك على الوجه الصحيح، يقول للإمبراطور أنه بحاجة إلى طلب المشورة من العلماء الأتقياء.[1]

وقد ألّف أبو العباس أحمد بن يحي بن محمد الونشريسي التلمساني (المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب)، وهو أكبر موسوعة نوازلية في المغرب، جمع فيه فتاوى المتقدمين والمتأخرين من فقهاء المغرب والأندلس، بالإضافة إلى فتاويه الخاصة. وهو مطبوع في حوالي (12) مجلداً، وقد جمع فيه نوازل المالكية في صورة سؤال وجواب مرتبة على أبواب الفقه، ففيه نوازل العبادات والمعاملات والأحوال الشخصية والحدود وغيرها، وله مكانة مرموقة عند الفقهاء والقضاة قديمًا، ولا يزال مصدراً زاخراً بالمعلومات الشرعية وغيرها عند المسلمين بالغرب الإسلامي.

وقد آثرت أن أورد نصّا للسّفير الأمريكي في اسبانيا (واشنطن إيرفنج) (1826–1829)[2] في كتابه الشهير "سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية في الأندلس"، قال في: "الفصل التاسع والتسعون". (استأنف الموكب الملكي الآن مسيرته في مرح وبهجة، على أنغام موسيقى النّصر، حتّى وصل إلى المسجد الذي يقع على ضفّة نهر شنيل غير بعيد من بداية "تلّ الشهداء"...، وهناك قابل أبو عبد الله عاثر الحظّ الملكين النصرانيين، ويرافقه نحو خمسين من الفرسان والخدم، ولّما اقترب من المِلكين أراد النزول على جواده رمزًا للتبعية، ولكن الملك فرديناند منعه عن ذلك، ولّما التقى الملكان حاول أبو عبد الله تقبيل

[1]– وهي ضمن مخطوطات خزائن منطقة توات بولاية أدرار الجزائرية.

[2]– سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية في الأندلس، واشنطن إرفنج، ترجمة: إسماعيل العربي. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر1988.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

يده، ولكن ملك قشتالة رفض هذه الحركة الرّمزية أيضًا... ولكي يواسيه الملك النصراني في محنته سلّم إليه ولده الذي لا يزال رهينة عنده).[1]

فبعد قراءة الكتاب الذي جاء في جملته متعاطفا مع سقوط الأندلس وحزينا على الحال التي آلت إليه، تبيّن لي أنّ النصارى في الأندلس لم يكونوا كما صوّرهم بعض الكتب، وواشنطن ايرفنج تمكن في سفارته لدى البلاط الإسباني من ولوج دهاليز المكتبات الإسبانية التي كانت ممنوعة على الأجانب، فقد مارسوا نوعا من الحيل السياسية الحربية في احتلالهم الأندلس تعبيرا عن نشوة النصر، ومباهاة منهم بإنسانيتهم، مقلّدين في ذلك سيرة المسلمين في الحروب أو كما يبدو، لكن وفي المحصّلة لم يفعلوا مثلما فعل الرّوس في الشيشان، أو البوذيون في بورما أو تنظيم الدولة مع الإيزيديين.

فالرّوم أو النصارى كما قال صدّيق حسن خان "خير الناس لمسكين ويتيم وضعيف" وذلك في شرحه لحديث المستورد القرشي عند مسلم (برقم 4698) وأحمد.[2]

وهذه للأسف الشديد أخلاق لم يستغلّها المسلمون مع معرفتهم بها، واستغلّها غيرهم من الشعوب وقلبوا أمّة المسيح ضدّ أمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم.

الخاتمـــة:

إن التسامح الديني مع غير المسلمين أصل من أصول الإسلام، ، وقد صنف فيهذا الموضوع الإمام عبد الكريم المغيلي التلمساني رحمه الله في (رسالة الأغلاف) وهم اليهود الذين ماتوا قبل بلوغهم، وهو دليل على أن العلماء المسلمين رحمهم الله أولوا هذه المسألة عناية كبيرة، حرصا منهم على تماسك وحدة المجتمع وإيمانا منهم بوحدة الجنس

[1]– المرجع نفسه ص: 472.

[2]– مسند الإمام أحمد، تحقيق: أحمد محمود شاكر. (دار الفكر العربي.) (265/3).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

البشري في قيمة النفس ورعايتها دونما نظر إلى صاحبها، وهم بذلك راعوا تماسك أفراد المجتمع من غير تمييز في الحقوق المدنية منتصرين في ذلك لآرائهم بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته كقوله: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عاما)

قائمة المصادر والمراجع:

1) تفسير الطبري، حقّقه وخرّج أحاديثه: محمود محمد شاكر، دار المعارف.

2) فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الريان للترات ت: محمد فؤاد عبد الباقي والخطيب، 1407–1986

3) صحيح البخاري، دار الشهاب، الجزائر طبعة 1990.

4) صحيح مسلم، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي، دار طيبة 2006–1427هـ

5) التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في إفريقيا، د. المرتضى الزين أحمد، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، العدد التاسع، ص161.

6) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الفكر العربي.

7) الفروق: 434/2 أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي ت684هـ، ت: عمر حسن القيام، مؤسسة الرسالة / بيروت، ط 1/ 1424هـ/2003م.

8) د. نوال السباعي، باحثة اسبانية مؤتمر ودي: 15–6–2006، مجلة الكويت العدد 271.

9) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة .د . محمد حميد الله ط/5 –1405هـ 1985م ص457 دار النفائس بيروت.

10) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لابن الجوزي ت: 597هـ، دار الكتب العلمية، ت– محمد عبد القادر عطا ط1/1412– 1992.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد: 33 العدد: 02 السنة: 2019 الصفحة:207–225 تاريخ النشر: 30–09–2019

11) صبح الأعشى في صناعة الإنشا: أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012

12) الوسط يومية بحرينية مستقلة، العدد 1379 الجمعة 16 يونيو 2006م الموافق: 19 جمادى الأولى 1427هـ.

13) رسالة أهل الذّمة والأغلاف، مذكرة ماستر للباحث عبد القادر عبد الرحمان حفيد الإمام المغيلي، إشراف الأستاذ الدكتور كمال معزي، قسم العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة .الجزائر 2012م.

14) سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية في الأندلس، واشنطن إرفنج، ترجمة: إسماعيل العربي. المؤسسة الوطنية للكتاب .الجزائر.1988

16) رسالة الأسقيا وأجوبة المغيلي، الإمام محمد عبد الكريم المغيلي التلمساني. مجموعة مخطوطات توات. أدرار، الجزائر.

17) les jeudis de l .ima .saison janvier/mars 2016.

18) le radicalisme et le prosélytisme n, ont pas leur place en Algérie) liberté le- 30/12/2015.

19) مواقع متنوعة في الشبكة العنكبوتية.

20) مجلّة الكويت، العدد 271 .

21) يومية الوسط يومية بحرينية مستقلة، العدد 1379 الجمعة 16 يونيو 2006م الموافق: 19 جمادى الأولى 1427هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com